العامل الدّيني، وتعليميّة اللّغة العربيّة في العصور الإسلاميّة الأولى–تحليل وتنظير–

د. فتيحة حداد

جامعة مولود معمري؛ تيزي– وزو.

تمهيد: ليس من الصّعب في أيامنا هذه الحديث عن العلاقة القائمة ما بين الدين الإسلامي واللغة العربية وهذا راجع إلى كثرة وتنوع الدراسات اللغوية والفقهية الحديثة والقديمة منها ذات الارتباط المباشر بهذه الظاهرة، وهذا في كل الميادين والمجالات، خاصة بعد التنظير الذي أكده العلماء الباحثين والمختصين بتعددهم وتنوع أرائهم ومجالاتهم البحثية على أن الإسلام كدين وعقيدة يقوم على ضرورة فهم هذه اللغة وإتقان قواعدها وأسرارها لفهم هذا الدين الجديد وبالتالي فهم أحكامه وتشريعاته وأبعاده الأخروية والدنيوية، ومن ثم الحفاظ عليه من اللحن أو الخطأ حتى لا تضطرب معانيه وتذهب أهدافه المنشودة. إلا أن الصعب في هذا الإشكال المطروح هو ما سأورده في السؤال التالي:

ما مدى مصاحبة التقنيات الدقيقة التي هندست هذه اللغة وصنعت قوانينها للظاهرة التعليمية التعلّمية في كل مراحل تكوينها إلى غاية بداية نهاية العصور الإسلامية الأولى؟ وهل حملت هذه الأخيرة في طياتها أساليب وطرائق لتحقيق هذه المصاحبة التعليمية أم لا ؟

إن ضرورة الإجابة عن هذا السؤال تدفع بنا إلى العودة قليلا للوراء لتحليل الوضعية اللغوية السائدة آنذاك في ظل البدايات الأولى لتأسيس وبناء اللغة العربية

في شكلها العام؛ وأهم تلك المراحل التي مر بها هذا التأسيس إلى أن وصل إلى درجة الإتقان والممارسة، وبالتالي إلى مرحلة إرساء المبادئ الأولى للمعالجة التعليمية لهذه اللغة وبخاصة في المراحل الأخيرة من العصور الإسلامية الأولى أين بدأ المفهوم المؤسساتي للتعليم في شكله المادي بالظهور.

1– **اللغة العربية ما بين الوضع والتأسيس**[*]: لم تصل اللغة العربية إلى ما هي عليه اليوم إلا نتيجة تلك المجهودات الجبارة التي قام بها هؤلاء العلماء المشتغلين على هذه اللغة في كل الميادين المعرفية ذات الارتباط المباشر بها منذ العصور الإسلامية الأولى، بداية من عهد الرسول "ص" والعصور الإسلامية الأخرى التي تلته، وبخاصة العصرين الأموي والعباسي بكل أطوارهما ومراحلهما واضطراباتهما، حيث كثر البحث في الجانب النحوي الذي يعتبر النقطة الأولى المحركة لحماية اللغة من الخطأ أو اللحن. إلا أننا نتساءل مرة أخرى عن مدى اهتمام الفرد العربي قبل الإسلام بهذه اللغة؟ وهل يمكن أن يقاس اهتمامه هذا بمقدار افتخاره وتعلقه بها؟ مع العلم أن العرب قد عُرفوا منذ جاهليتهم بفصاحة لسانهم، وبلاغة منطقهم وبيان صُوَرهم، إذ ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم حيث توترات اللغة العربية الفصحى سليقة عندهم، لأنّهم تمرسوا مع هذه اللغة وفي ظلها ما بين قول النثر ونضم الشعر.

أ– **مرحلة ما قبل الوضع:** أدركنا والباحثين اللغويين، وكذا المؤرخين أن اللغة العربية من اللغات السامية، وهي من أحدثها نشأة وتاريخا، وقد عُرّف بها الفرد الجاهلي وتميّز بها على الرغم من أنها، قد كانت تأتي في شكل لهجات شفوية والملاحظ لها في هذه المرحلة يجد أنها قد امتازت بـــ:

– التقارب اللهجي، وتعدده "وأغلب الظن أن اللغة العربية الفصحى التي أصبحت لغة مشتركة للعرب من جميع القبائل كانت لغة الحج والأسواق والمجامع

الأخرى .... والملاحظ أن هذه اللهجة الفصحى تقرب إلى كل لهجة عربية"[2]، أي أن المعطيات اللغوية التي بدأت تعرف مفهوم الالتئام اللغوي في شكله العام قد أسهمت بشكل أو بأخر في التقارب الاجتماعي وبالتالي في بداية تأسيس اللحمة الاجتماعية التي ستسهم بدورها غدا في خلق الفكر الإصلاحي في الأوساط الاجتماعية المسلمة والذي سيلعب أيضا دورا جبارا في تحريك الوعي التعليمي عامة وتعليم اللغة العربية بخاصة، كلغة لحماية دين العقيدة التي جمعتهم في صف واحد بعد العصبيّات القبلية التي عُرفت بها المجتمعات العربية الجاهلية والتي كانت العامل الأساسي في تحريك النزعات في ما بينهم.

– مراعاة النتاج الاصطلاحي القبلي أي إن مرحلة ما قبل التقعيد والوضع في الدراسات اللغوية العربية ورغم النزاعات القائمة ما بين القبائل إلا أنهم حاولوا احترام الخصوصية اللغوية في بعدها الاصطلاحي في ما بينهم، أي أن المعجم اللغوي المتداول في هذه المناسبات أو تلك، والمرفوض وغير المرغوب فيه في هذه أو في الأخرى ، وفي هذا المقام دون الأخر (الحروب، الندوات والمجالس: الصلح الحروب، الندوات الثقافية أو المجالس الشعرية... الخ)، وفي هذه البقاع دون أخرى، قد كان استعماله مراعى من قبل الأخر احتراما للمقام والسياق المفروضين من قبل هذا الأخر أيضا.

– التصويب الجمعي في ظل التلاحم القومي أي أن عرب الجاهلية في هذه المرحلة لم يستغلوا عصبيتهم القبلية التي عُرِفوا بها في قبول الخطأ أو الذود عنه وإنما كانوا يتركون ذلك لما ارتضته الجماعة اللغوية وهو ما سيعرف بالتوافق اللغوي في ظل الدراسات السوسيو لسانية في الدراسات اللغوية الاجتماعية الحديثة. وبنزول الرسالة الإلهية على نبي الله محمد ﷺ باللغة العربية الفصحى وبداية ظهور اللحن في عهده ﷺ حيث قال حين لحن أحدهم في حضرته "ارشدوا أخاكم

فقد ظل"[3]، بدأت اللغة العربية في ظل هذه التحولات مع وعي جمعي مستتر أحيانا وظاهر في أحيان كثيرة أخرى تؤسس لمرحلتها الثانية، والتي أتت في مرحلتي الوضع والتكوين أو التأسيس اللتين مهدتا للمرحلة التعليمية في ظل التوسعات الجغرافية التي ستتولد عنها الحركات التطورية الحضارية وبخاصة المعمارية في العصر الأموي الذي عرف بعصر اللغة والعمارة العربية في ظل خلافة عربية* والتي سنلمسها في المعطى التعليمي المادي "المدرسة" في العناصر اللاحقة من هذه الورقة.

وعليه نخلص إلى القول إن اللغة العربية وفي ظل هذه التحولات العقائدية الجديدة ستؤسس لنفسها بحكم الضرورة حدود جغرافية ستصل إلى مشارف الهند والصين، وهذا من خلال الفتوحات الإسلامية التي أسهمت في توسعها ورسم حدودها اللغوية التي أتت مماشية لحدودها الجغرافية هذه والتي وجدناها تقريبا على النحو التالي:

– **الحدّ المشرقي:** أو ما يعرف بالحدود اللغوية في بلاد الشرق والذي يشمل كل من شبه جزيرة العرب*، سوريا وما بين النهرين[4].

– **الحدّ المغربي:** والذي يجمع كتامة "الجزائر"، القيروان، "تونس" والمغرب....الخ، أما عن الحدود اللغوية التي تواجدت على أطراف العالم الإسلامي فقد أتت على النحو التالي:

أ– اللغة الصدغية: في آسيا الوسطى وسواحل بلاد إفريقيا الشرقية؛

ب– لغة آزر في السودان؛

ت– لغة الإفرنج في منطقة البحر الأبيض المتوسط[5]. وهنا نأتي مرة أخرى لنتساءل قائلين: هل تأسست اللغة العربية في هذه المراحل الجديدة أم لا وكيف حدث هذا التأسيس؟

ب– مرحلة الوضع والتأسيس: توسعت الحدود اللّغوية للّغة العربية إذًا بالتوسع الجغرافي بداية من عهد الرسول (ص)، مرورًا إلى عهود أتباعه الأوليّن مستلميّن الأمانة بشقيها: الديني واللّغوي، أي أنهم شعروا بضرورة خدمة هذا الديّن والحفاظ عليه، حيث يؤكد شوقي ضيف هذا في قوله: «أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحًا سليمًا إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة...»[6]، من جهة وضرورة حفظ اللّغة من الخطأ أو العيب اللّغوي أو اللحن من جهة أخرى، «... وخاصة بعد أن أخذ اللّحن يشيع على الألسنة...»[7] وإذ أتينا للتنظير لهذا المطرح والبحث في أسبابه لقلنا إن:

–1/– أهواء التحريف التي جاءت واضحة في موقف عثمان ﷺ في الفصل في إشكالية المفاضلة بيّن القراءات، حيث فزع عثمان ﷺ إلى الحفاظ الثقاة بعد حروب الرّدة**، آمرًا إياهم بجمع ما تفرق مما نسخ على العظام واللخاف، وسعف النخل عند المسلمين في كل البقاع للمفتوحة وأكثر ذلك كان في بيت حفصة بنت عمرﷺ حيث استكتابهم مصحفًا، وزعت ست نسخ منه على الأمصار الإسلامية مبطلة النسخ القديمة المتداولة بيّن أيدي الناس، مسهما بهذا في:

*– بداية بعث المفاهيم النظامية في العملية التأسيسية للبناء اللغوي للغة العربية؛

*– بداية بعث المبادئ التأسيسية الأولى للخط العربي؛

*– بداية بعث الحركية التصحيحية للعملية القرائية.

–2/– أهواء التصحيف التي طالت مصحف عثمان ﷺ بعد جمعه*، من خلال اضطراب الخط في طريقة رسمه أو كتابته لأنه لم يعرف النقط، ولا الشكل المبيّن لضبط الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات، وقد أدى هذا باللّغويّن إلى اتخاذ إجراءات أنية وسريعة، ستسهم في تأسيس الدرس التعليمي الديداكتيكي لتعليمية

اللّغة العربية، وستأتي عبر مراحل، نشير إلى أهمها:

2ـــ– مرحلة تعليمية اللّغة العربية:

أ– **الإرهاصات الأولى:** والتي يمكن أن نصطلح عليها ديداكتيكيًا بمرحلة بداية تأسيس الدرس التعليمي لتعليمية اللّغة العربية، والتي عرفت التطورات التالية:

–1– النقط الإعرابي: والذي جاء على يد أبي الأسود الدؤلي (ت 96 هـــ)؛ والذي نقط القرآن حتى أتى على آخره[8]؛ بحيث قال محدثًا كاتبه، آمرًا إياه أن يعمل صبغًا مخالفًا للمداد: «إذا رأيتني قد فتحت فمي، فانقط نقطة فوقه أو أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بيّن يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئًا من ذلك عنه، فاجعل مكان النقطة نقطتين»[9]، وسيسهم هذا النقط الإعرابي في تعليمية ما سيأتي:

– أساليب وطرائق استغلال الحركات الإعرابية للمنظرين من جهة وللمتعلمين من جهة أخرى؛

– أساليب وطرائق استغلال المقايّس الإعرابية في المدونات النحوية.

–2– النقط الإعجامي: جاء مباشرة بعد نقط الإعراب على يد "نصر بن عاصم الليثي" (ت 89 هـــ)؛ وقد تمثل في رسم الحروف المعجميّة نحو: الباء، التاء والثاء، والنون، إذ أن الحرف الواحد في اللّغة العربية يحتمل صورًا عديدة في القراءة، والأمثلة في هذه النقطة كثيرة، نحو حرف الباء (ب) الذي يمكن أن يقرأ باءً أو تاءً أو ياءً، وهي النقطة التي ستسهم في:

– التأسيس النطقي السليم للمتعلّمين الصغار خاصة؛

– التصحيحات والتصويبات النطقية للمتعلميّن بنوعيهما: الصغار والكبار وخاصة الأعاجم ؛

– تصميم المفاهيم الصوتية الأولى في صورها المبدئية رغبة في بداية

تأسيس الدرس اللّغوي الصوتي في اللّغة العربية، قبل التفطن لمفاهيمه التعليمية في ظل التّعليمية المصطلحية الصوتية العربية.

–3– وضع وتأسيس شروط البحث والتحري اللّغوي: والتي تتمثل في النقاط التالية:

– تحقيق المادة اللّغوية، باشتراط صحتها من صحة مصادرها التي امتثلت لـــ:

1– النص القرآن الكريم؛

2– النص الشعري العربي الفحل، وهذا حتى منتصف القرن الثاني للهجرة.

– النص اللّغوي أو اللّساني المتداول في الرقعة الجغرافية السليمة، "كلام الأقحاح"، حتى نهاية القرن الرابع الهجري، والذي تأسس على المبادئ التالية:

– المنهج الوصفي في الجمع؛

– السلاقة اللّغوية البعيدة عن الصنعة اللفظية التي ستتداول وبكثرة في بداية نهاية العصر العباسي الثاني؛

– الإسناد السليم، والمتحدث الموثوق فيه؛

– القياس في بناء القواعد النحوية لتعويد المستعملين على استغلالها وتطبيقها في ممارستهم اللغوية بنوعيها الشفوية والكتابية تحقيقا لمبدأ السلامة النحوية الذي يحقق بدوره السلامة اللغوية.

ب–البدايات التنظيمية: على الرغم من أن المبدأ التعليمي التعلّمي مرسخ في بني البشر منذ الأزل، لأنه فعل كائن فيه من باب الفطرة حيث أكد هذا ابن خلدون في القرون العربية المتأخرة حين قال: "وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها من غيرهم"[10]، كما عبر نوام تشومسكي في القرون الحديثة القريبة منا عن نفس القصد في قوله: "اللغة ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لفهم وتكوين جمل نحوية"[11]، إلا أننا نقول إن

توسع البحث في اللغة العربية بكل تفرعاته في ظل التطور المنهجي للعلوم والتطور الحضاري للمجتمعات الاسلامية بكل أبعادها وتنوعاتها، واختلافاتها في هذه المرحلة الزمنية "العصور الاسلامية الأولى" قد أدى بالمختصين من حكام وعلماء وباحثين إلى الاهتمام بـــ:

1- التشدد في إطراد القواعد النحوية، حيث طرح الشاذ ولم يعد يعمل به؛

2- الاهتمام بالقراءات القرآنية التي أسست لمفهوم الحس النحوي لدى المتعلمين واللغويين المعلمين المقرئين من مبدأ التحكم في التقنيات الصوتية لتحقيق القراءة القرآنية الموحدة كلغة الدين والدولة؛

3- الاهتمام بتقسيم فروع علم العربية حيث تأسس النحو وبرزت البلاغة والدراسات المعجمية والمفاهيم البيانية التي ستسهم بشكل أو بآخر في تطويع اللغة العربية خاصة عند المتعلمين الأعاجم غير المتقنين للغة العربية، وهذا بداية من نهاية العصر العباسي الأول أين اختلطت الأجناس في ظل الفتوحات الاسلامية الجديدة الواسعة من جهة، وتكاثرت العلوم وتفرعت وبالتالي تفرعت طرائق تعليمها من جهة أخرى؛

4- الاهتمام بتأسيس القواعد الأولى للمنهج التعليمي للتعليم عامة ولتعليم اللغة العربية بخاصة، وهي أساليب تقييم الحركية التعليمية لتعليم اللغة العربية رغبة في تنظيم السير الحسن والعقلاني للدرس التعليمي للتعليم عامة ؛ولتعليم اللغة العربية على وجه الخصوص في هذه الفترة من تاريخ التعليم الاسلامي في ظل التطور العمراني للمفهوم المادي للمكان التعليمي؛

5- بداية بروز المذاهب الفقهية وارتباط المبادئ التعليمية التعلمية بها.

6- بداية تعدد الأماكن التعليمية، وتنوع اهتماماتها البيداغوجية بداية من منتصف القرن الأول للهجرة، وعليه نقول: من هذا وذاك تأسست المبادئ والدوافع

والعوامل الإسهامية لبعث اللغة العربية مبعثا تأسيسيا مبني على أسس نحوية وصرفية دقيقة، إلا أننا نتسأل ثانية عن الفحو الإسهامي للتنظيمات والترتيبات التي عرفتها اللغة العربية في بعث المفهوم التأسيسي لحركية تعليم اللغة العربية ؟ للإجابة عن هذا الطرح، سنحاول الوقوف مع:

ج– **المرحلة التأسيسية لتعليمية اللغة العربية:** نعلم، والجمع معنا أن المفاهيم التعليمية في شكلها الواسع كونها نهج، أو بمعنى أدق أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية حسب د. لاكومب "D.Lacomb" وجون بيار دوفولي "J.P.devolay"[12]، لم تكن لا معروفة ولا متداولة لدى الفرد العربي المسلم في حقبتنا هذه التاريخية المدروسة، وإذ حاولنا تخصيص المسألة وإسقاطها على تعليمية اللغات التي يعرفها "جون دي بوا" و"ماتي جياكمو"، ورفقائهما في قاموسهم اللساني الكبير "السانيات وعلوم اللسان" على أنها: "العلم الذي يدرس مناهج أو طرائق تعلم اللغات"[13*]، لوجدنا ان المعطيات الحديثة والمعاصرة في ميدان البحث العلمي لتعليمية اللغات تتقارب وتتشابه مع المعطيات التي بدأت تتأسس في عصورنا الاسلامية الأولى بحكم أن "ديداكتيك اللغات أصبحت تهتم بمتغيرات عديدة، من متغيرات العملية التربوية، ومنها المتعلم من حيث الاستراتيجيات التي يكتسب بها اللغة، والأخطاء التي يرتكبها وآليات فهم واستيعاب اللغة وإنتاجها"[14] وهي الآليات التي حاولنا بلورتها من خلال حديثنا عن الخطأ اللغوي في لسان المتعلم المسلم: العربي والأعجمي وكيفية معالجتها، والتي وجدناها قد نتجت عنه تنظيرات معنوية، ومادية بائنة ستسهم في بناء الفعل التعليمي التعلمي وتطويره وفي تأسيس مبادئه المنهجية العلمية التي لمسناها في وصية الأحمر مؤدب المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد في العصر العباسي الأول[15]، وفي المبادئ والأسس التعليمية التي استنتجها ابن خلدون في القرن الثامن للهجرة في فصول مقدمته

والتي تمثلت في قسمين:

1- القسم المعنوي: والذي لمسنا فيه نضج و اكتمال:

أ- **المادة النحوية:** والتي انتقلت من مرحلة تأسيس القواعد إلى مرحلة بناء المدارس ومن ثمة مرحلة تأسيس المناهج التعليمية لتعليمية النحو العربي؛ والتي تبنتها المدارس النحوية التي اختلفت في آرائها ومناهجها التعليمية خاصة في ما تعلق بمدرستي الكوفة والبصرة ؛

ب- **المادة الصرفية:** والتي جاءت في بناء الأوزان الصرفية والمقاييس التصريفية للأبنية اللغوية؛

ج- **المادة المعجمية:** والتي تمثلت في جمع المدونة اللغوية في شكلها الخام أولا ثم العمل على تخصيصها وتفريعها ثانيا في شكل معاجم وقواميس ذات اختصاصات مختلفة ومتنوعة، والتي ستؤسس بدورها لمدارس معجمية سيقوم عليها المفهوم التعليمي المفرداتي لتعليم القاعدة المعجمية العربية للمتعلم المسلم؛

د- **المادة الفقهية:** والتي ستحمل في طياتها تعددات مذهبية متنوعة ومتضاربة أحيانا، والتي ستفصح بدورها عن معطيات إسهامية في الحراك التعليمي نحو ما هي عليه الحال مع:

- التنوع القرائي لآيات الذكر الحكيم وبالتالي للغة العربية خاصة في القراءة الجهرية في فعلي التجويد والترتيل؛
- التعدد والتنوع في التفاسير وبالتالي في فهم المقاصد الفقهية المحمولة في ثنايا لغوية في بعدها الديني والفلسفي، وبخاصة مع الفرق الدينية المختلفة الأهداف والمقاصد والتي ستؤدي بالضرورة القصوى وبموازة الاكتمال والنضج المعنوي لعلوم العربية لاحظنا اكتمال الجانب المادي الذي تمثل في الدور التعليمية التي تطورت بدورها وانتقلت من مرحلة إلى أخرى مؤسسة للمفهوم التعليمي الراقي في

جانبه المادي والذي مُثل له معماريا بداية من العصر الأموي إلى أن اكتمل في العصور المتأخرة للعصر العباسي في مفهوم المدرسة المتداولة في أيامنا هذه، وقد جاء هذا التطور المادي الإسهامي للمفهوم التعليمي الإسلامي عامة ولتعليم اللغة العربية على وجه الخصوص على النحو التالي:

2- القسم المادي: احتوى على أماكن مادية احتوت المتعلمين والمعلمين الراغبين في تعلم وتعليم هذه اللغة الحاملة للدين الجديد، والحامية له وقد تمثلت في:

أ- الاسواق وساحات الحروب؛

ب- المساجد؛[16]

ج- الكتاتيب بأنواعها:

الكتاتيب العامة، والتي ستنقسم إلى نوعين:

الكتاتيب الخاصة بتعليم القرآن الكريم؛

الكتاتيب الخاصة بتعليم الخط أو الكتابة.

الكتّاب القصوري: وهو النوع الذي سيهتم بتعليم أبناء الخلفاء ووجهاء القوم والمصطلح عليها آنذاك بالكتاتيب القصورية نسبة إلى قصور الخلفاء والملوك؛[17] المدارس في العهود المتأخرة من العصر العباسي الأخير مع السلاجقة على وجه التحديد[18]، هذه المعطيات وأخرى وجدناها قد أسهمت بشكل أو بآخر في قيام الاستراتيجية التعليمية لتعليمية اللغة العربية، وبالتالي في تأسيس منهاجها التعليمية التي جاءت في شكل أساليب بسيطة، محتشمة، غير مقننة، غير مؤطرة*، في البدايات الاسلامية الأولى** إلا أنها تطورت في ظل:

تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية للأمة الاسلامية؛، حيث قامت هذه الأساليب التعليمية على مفهوم: السماع؛ الاملاء والاستملاء، وبخاصة في العصر الأموي؛

الترديد والتكرار، وبخاصة في الأساليب القرائية في العصر الأموي. كما وجدناها ورغم تطورها واحتكامها إلى: المفاهيم المعرفية العامة؛

المعطيات المادية المقننة، والمؤسسة بشكل وصفي في بداية المراحل الأخيرة للفترة المدروسة–المرحلة السلجوقية نحو ما هي عليه الحال مع المواد التعليمية النحوية كجزء هام من العملية التعليمية في المفهوم الديداكتيكي الحديث للعملية التعليمية التي تقوم على مفهوم الثلاثية التعليمية –المعلم–المتعلم–المحتوى التعليمي أو المادة التعليمية –، والحال نفسه معنا هنا حيث تأسست المادة التعليمية في المدارس مع السلاجقة الحديث "...ومع النوع النظامي التركي السلجوقي حيث عرفت مرحلة انتقالية واضحة في ميدان التزود بالمادة التعليمية، إذ أنها عرفت تأسيس مفهوم الكتاب المدرسي المختص، حيث أصبح هذا الأخير شرطا أساسيا من شروط تعيين الأستاذ الشيخ"[19]، وفي هذا تنظير فعلي ملموس لتطور الفعل التعليمي التعلمي في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ التعليم الإسلامي، "والذي يلوح لنا من خلال سير أساتذة النظامية وطرق تعيينهم أن التأليف كان من الاعتبارات التي تراعى عند اختيارهم... وكان الكتاب المدرسي الذي يضم مجموعة محاضرات الأستاذ، سرعان ما ينتشر..."[20]، وهي رغبتنا من هذه الورقة ومن هذا التحليل، وهو أن نصل والقارئ إلى أن المصاحبة اللغوية التقنية الدقيقة للفعل التعليمي التعلمي في العصور الإسلامية الأولى قد تحقق، إلا أننا وجدنا أن هذه المناهج التعليمية قد ارتبطت بأصحاب المذاهب الفقهية وتمذهبت بمذهبهم حتى في مرحلتها الذهبية، أو ما يمكن الاصطلاح عليه أكاديميا بمرحلة النضج المنهجي

للمفهوم التعليمي في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ التعليم الإسلامي، والتي أتت كما هو ملحوظ مع السلاجقة على يد الوزير الأول "نظام الملك السلجوقي" الذي حاول رسم معالم المناهج التعليمية عامة ولتعليم اللغة العربية في العالم الإسلامي على وجه الخصوص، بحيث ارتقى من خلال تنظيمها وترتيبها وبعثها معنويا وماديا خدمة للمذهب السني الذي كان يخدم الدولة السلجوقية آنذاك، "وفي المدارس الدينية لم يكن مسموحا للدارسين بقراءة الكتب التي تتناول العلوم العقلية... خاصة المتعلقة بالفلسفة"[21]، وهذا خوفا من انتشار أفكار منافية للمذهب السني، وفي هذا تدليل جديد على أن التعليم عامة وتعليم اللغة العربية في العصور الإسلامية الأولى قد قامت على المفاهيم الدينية.

خاتمة: لقد أسهم العامل الديني بشكل أو بآخر في بعث الحركية التعليمية عامة وتعليمية اللغة العربية التي اشتغل عليها لقرون طويلة لأجل الحفاظ عليها وعلى القرآن الكريم من اللحن قائلين أن:

العصور الإسلامية الأولى بداية من عهد الرسول (ﷺ) إلى بداية نهاية العصر العباسي مع السلاجقة، قد أسست للمفاهيم التعليمية للتعليم عامة، ولتعليم اللغة العربية بخاصة؛

قيام المادة التعليمية بمناهجها وطرائق تعليمها وتوصيلها على مبدأ خدمة البعد الديني بكل ما يتوخاه من أهداف وأبعاد، حيث لاحظنا ارتباط الحركة التعليمية في شكلها العام منذ بدايتها الأولى بالفعل الديني حفظا له ودفاعا عن مبادئه وأسسه؛

ارتباط الأمكنة التعليمية في العصور الإسلامية الأولى كأس مادي للتعليم عامة ولتعليم اللغة العربية خاصة، بأماكن العبادة نحو ما وجدناه في المسجد كأول مقر بائن ومؤسس في البعد المعماري التعليمي؛

ارتباط الطرائق والأساليب التعليمية بمبدأ القراءات القرآنية من خلال تعلم

وتعليم القرآن الكريم بشكل سليم بعيد عن الخطأ اللغوي والمعنوي؛

ارتباط نشاط القراءة بالأسلوب الجهري نظرا لاعتماد المعلمين الطرائق الجهرية في تعلم النصوص القرآنية كأول المواد التعليمية للتعليمية الدينية واللغوية؛

المرجعية التعليمية لتعليمية اللغة العربية في العصور الإسلامية الأولى قد تراوحت ما بين المرجعية التأصيلية والمرجعية الوافدة، مما سيؤدي إلى خلق نظام لغوي انتقالي؛

الانتقال المرحلي للغة العربية من اللغة الأم كلغة أولى، والتي كانت متداولة لدى العرب في قبائلهم وفي ما بينهم فقط، إلى لغة ثانية يتقنها الآخر الأعجمي حيث أصبحت تعرف في تعليمها وتعلما باللغة الثانية (la langue seconde) حسب الاصطلاحات اللسانية التطبيقية الحديثة.

من هذا وذاك، نخلص إلى القول أن الرغبة في حفظ الدين واللغة عند الفرد المسلم قد دفع به للدفاع عنهما بكل ما يملك من إمكانيات معنوية ومادية، ونظن كان له ذلك.

الهوامش:

*– حسب اصطلاح الأبحاث اللسانية واللغوية الحديثة.

2– تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دط، دار الثقافة، الشركة الجديدة، دار البيضاء المغرب: 1958، ص ص 63 64.

3– أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج1، ط1، تح: علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة مصر: 1982 ص8.

*– عُرف العصر الأموي بالعصر الإسلامي العربي لأنه العصر الذي لم تعرف فيه السلطة تداول خلفاء أو أمراء غير العرب خلافا للعصر العباسي الذي عرف بملوك وخلفاء أعاجم نحو: الفرس، الأتراك، البويهيين، الممالك....الخ.

*– يقسم الجزيرة العربية جبل السراة الذي يمتد من اليمن إلى أطراف بادية الشام بحذاء الشاطئ

الغربي إلى قسمين: غربي وشرقي، ويعد هذا الجبل بمثابة العمود الفقري للجزيرة العربية كلها وينحدر انحدارا فجائيا إلى الشرق، ويمتد إلى أطراف العراق وبادية السماوة، فيسمى نجدا. أنظر لهذا: عمر الدسوقي، محمد الصادق عفيفي، أحمد الحوفي، معالم الحضارة الإسلامية، ج2، ط2 دار الكتب العربية للنشر والتوزيع، ومكتبة الرشاد، الرباط: 1963م، ص 15.

4- موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، تر، وتع: إسماعيل العربي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984م، ص 136.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- شوقي ضيف، المدارس اللّسانية، ط2، دار المعارف، مصر: 1986م، ص 11.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

**- بحكم أن أغلب الرواة الثقاة قدما ماتوا في حروب الردة، ممّا زاد الأمر صعوبة وتعقيدًا.

*- المصحف الشريف، أصبح يُعرف باسم عثمان (ض)، ويُنسب إليه.

8- أنظر هذا:

أ- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط2، ص، ص 16، 17.

ب- أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي؛ طبقات النحويّين واللّغويّين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 دار المعارف، القاهرة: 1973م، ص 22.

9- أبو سعيد الحسن بن عبد الله، السير في أخبار النحويّن والبصريّن، دط، المطبعة الكاثوليكية لبنان: د.ت، ص 17.

10- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط2، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت: 1979م، ص 1072.

11- حلمي خليل، اللغة والطفل، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دون طبعة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1986، ص 48.

12- عبد اللطيف الفارابي، محمد آيت موحى وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ج1، سلسلة علوم التربية (9-10)، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر المغرب: 1994، ص ص 68-69.

13 -Jean Dubois, Mathée Giacomo, Grand dictionnaire de la linguistique et sciences du langage, Larousse, Paris, 2007, p. 147.

*- « La didactique des langues est la science qui étudie les méthodes d'apprentissage des langues »

14– معجم علوم التربية، ج1، ط1، ص 72.

15– عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط2، ص ص 1043–1044.

16- Lucien Golvin, La mosquée, ses origines, sa morphologie, ses diverses fonctions, son rôle dans la vie musulmane, plus spécialement en Afrique du Nord Institut d'études supérieures islamiques d'Alger, Palais d'hiver, 1960, p.p. 17-18.

17– أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط4، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1976، ص58.

18– أنظر: أ– أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت: 1973، ص 273.

ب– عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1998 ص213.

*– جاء التعليم في البدايات الإسلامية الأولى غير منظم على مدار الحياة، لأنه خاضع لأشخاص معينين، غير ممثلون من قبل هيئة معينة نحو ما هي عليه الحال الآن في الادارات المدرسية والهياكل التعليمية العليا (الجامعات، الأكاديميات ...).

**– في عهد الرسول ﷺ وصحابته الأفذاذ.

19– فتيحة حداد، تطور مناهج اللغة العربية في العصور الإسلامية الأولى، دراسة تاريخية نقدية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو: 2014، ص 263

20– أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، ص 373.

21– أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 238.